

في الاجتماع اللغوي

تطور الدلالة

أنواع التطور الدلالي ومواضع

للدكتور علي عبد الواحد وافي

مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة نّزاد الأول

ترجع ظواهر التطور الدلالي إلى ثلاثة أنواع :

(أحدها) تطور يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة ... وما إلى ذلك ، كقواعد الاشتقاق والمعرف (المورفولوجيا) والتنظيم (السنكس) ... وهم جرا . وذلك كما حدث في اللغات العامية المنتمية من اللغة العربية إذ تجردت من علامات الإعراب^(١) وتغيرت فيها قواعد

(١) يوقف في جميع هذه الهجات بالكون على جميع الكلمات للمرية بالحركات ، وتنتزم حالة واحدة في الكلمات للمرية بالحروف (الثنى ، جمع المذكر السالم ، الأسماء الحجة ... الخ . فيقال أخوك بجهد ، ضربت أخوك ، سلم لي على أخوك ...) . فوظيفة الكلمة في الجملة لا تقهر في لغاتنا العامية إلا من مجرد السياق أو من ترتيبها بالنسبة لبقية عناصر الجملة

« النثر اللغوي » ، وليس عندي ما أقوله بمد ذلك البحث المفصل ، فن كان يهجم أن يعرف أسرار « الكفاة » فليقرأ ذلك البحث . أما كتاب الأدب التوجيهي فساخسه بمقال أو مقالين بمد أسابيع

الهجوم الأتم على الشيخ سير المرصفي

كثرت الخطابات التي ترد إلي في تحقيق ما ادعاه الأستاذ المبعي يوي في حق الشيخ سيد المرصفي ، وكنت أفتلت هذا الموضوع عن عمد ، لأن الأستاذ السباعي له على حقوق ؛ فقد كان دائماً من أنصاري ، ولم آخذ عليه ما يريب ، ولأن مقام الشيخ المرصفي أقوى من أن يهدم بكلمة جارحة تساق إليه في إحدى المحاضرات

ولكن سكوت الأزهريين عن الانتصاف للشيخ المرصفي أزعجني ، وكنت أرجو أن يكونوا درعاً واقية لذلك للشيخ الجليل ، وهو رجل لم ير مثله الأزهر منذ أجيال طوال فاذا أصنع ؟

مضايقة الأستاذ السباعي بلاه ، لأنه صديق ، والسكوت

الاشتقاق^(١) واختلقت مناهج تركيب العبارات^(٢) .

(وإنها) تطور يلحق الأساليب ، كما حدث للغات المحاذية العامية المنتمية عن للمرية إذ اختلفت أساليبها اختلافاً كبيراً عن الأساليب العربية الأولى ، وكما حدث للغة الكتابة في عصرنا الحاضر إذ عجزت أساليبها كذلك عن أساليب الكتابة للتقديم تحت تأثير الترجمة ، والاحتكاك بالآداب الأجنبية ، ورق التفكير ، وزيادة الحاجة إلى الدقة في التعبير عن حقائق العلوم والفلسفة والاجتماع ... وهم جرا .

(وإنها) تطور يلحق معنى للكلمة نفسه ، كأن يخصص معناها العام فلا تطلق إلا على بعض ما كانت تطلق عليه من قبل ، أو يسم مدلولها الخاص فتطلق على معنى يشمل معناها الأصلي ومعاني أخرى تشترك معه في بعض الصفات ، أو تخرج عن معناها القديم فتطلق على معنى آخر تربطه به علاقة ما وتصبح حقيقة

(١) تغيرت وجوه الصرف العربية تغيراً كبيراً في اللغات العامية ، حتى لا تكاد تثر فيها على فعل باق على حاله العربية الصحيحة من هذه الناحية (٢) فن ذلك مثلا نمت للثنى بصيغة الجهم (فيقال « كتابين كبار » ، بدلا من « كتابين كبيرين) وتأخر الاشارة في تركيب الجملة عن المشار إليه ، (فيقال مثلا في عامية المصريين : « الكتاب ده » الكتابين دول ، الرجال دول ، بدلا من : « هذا الكتاب ، هذان الكتابان ، هؤلاء الرجال »)

عن نصرة الشيخ المرصفي بلاه ، لأنه أستاذي ، فاذا أصنع ؟ سأقتل القضية من وضع إلى وضع ، فأصيرها قضية أدبية لا قضية شخصية ، وأبين أن السباعي يوي يستر جنائته على البرد بجنائته على المرصفي ولكن كيف ؟

سيرى صديقتنا السباعي أن « تهذيب الكامل » لم يكن إلا جنابة أدبية ، وسيعرف أن التناول على مقام الشيخ المرصفي لا يذهب بلا عقاب

وقد زعم الأستاذ السباعي أن الشيخ المرصفي سرق بعض أفكاره ، فليستمد للدفاع عن النظرية التي نهها نهياً من كتاب « النثر اللغوي » ونشرها في مجلة « للسراج »

ولكن على شرط أن يؤمن في سريرة نفسه بأن أكره البني على أصدقائي ، وأن أصري لم يكن إلا شبيهاً بأصراً كتم ابن صبيح حين قال : « إن قول الحق لم يدع لي صديقاً » وإلى اللقاء في غير بني ولا عدوان ، فاستريح إبداء أصدقائي ، ولو ظلوا أنفسهم فظلوني نكي مبارك

في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازاً فيه ، أو تستعمل في معنى غريب كل القرابة عن معناها الأول ... وهم جرا .

هذا ولتطور الدلالي يختلف أنواعه خواص كثيرة من أهمها ما يلي :

١ - أنه يسير ببطء وتدرج . فتغير مدلول للكلمة مثلاً لا يتم بشكل فجائي سريع ، بل يستغرق وقتاً طويلاً ، ويحدث عادة في صورة تدريجية ، فينتقل إلى معنى آخر قريب منه ، وهذا إلى معنى ثالث متصل به ... وهكذا دواليك حتى تصل للكلمة أحياناً إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول . فكلمة bureau مثلاً كانت تطلق في المبدأ على صنف خاص من الأقمشة للصوفية étoffe de bure ، ثم أطلقت على فطاء مائدة المكتب لاتخاذها غالباً من هذا الصنف ، ثم أطلقت على مائدة المكتب نفسها ، ثم أطلقت على مقر العمل والإدارة للكتابة له . فلا علاقة مطلقاً بين أول مدلول لهذه الكلمة وهو القماش الصوفي وآخر مدلول لها وهو مقر العمل والإدارة ، على حين أن للعلاقة وثيقة بين كل معنى من المعاني التي اجتازتها والمعنى السابق له مباشرة^(١)

٢ - أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية . فسقوط علامات الإعراب في اللغات العربية الحاضرة ، وتغير أوزان الأفعال^(٢) ، وتآنيث بعض الكلمات المذكورة ، وتذكير بعض الكلمات المؤنثة^(٣) ، وجمع صفة اللثي ، وتأخير الإشارة عن المشار إليه ، وترحزح كثير من المفردات عن مدلولاتها الأولى إلى حقائق جديدة ... كل ذلك وما إليه قد حدث من تلقاء نفسه في صورة آلية لا دخل فيها للتواضع أو إرادة المتكلمين

(١) هذه الخاصة صحيحة في تطور الكلمات وتطور الأساليب . أما تطور القواعد فكثيراً ما يحدث بدون تدرج
(٢) يقال مثلاً : « كبر ، يكبر » بدلاً من « كبر ، يكبر » أو « كبر ، يكبر » ومثل هذا يقال في معظم الأفعال العربية
(٢) يقال مثلاً في عامية المصريين : « رأس كبيرة ووطن كبيرة » . بدلاً من « رأس كبير ووطن كبير »

٣ - أنه جبري الظواهر لأنه يخضع في سيره لقوانين صارمة لا يد لأحد على وقفها أو تمويهها أو تغيير ما تؤدي إليه .

وإليك مثلاً حالة اللغة العربية ، فعلى الرغم من الجهود الجبارة التي بذلت في سبيل صيانتها وعمارها ما يطرأ عليها من لحن ومحريف ، ومع أن هذه الجهود كانت تعتمد على دعامة من الدين ، فإن ذلك كله لم يحل دون تطورها في القواعد والأساليب ودلالة المفردات إلى الصورة التي تتفق مع قوانين التطور اللغوي - فأصبحت على الحالة التي هي عليها الآن في اللغات العامية -

٤ - أن الحالة التي تنتقل إليها الدلالة ترتبط غالباً بالحالة التي انتقلت منها بإحدى العلاقات اللتين يعتمد عليهما تداخي المعاني^(٤) ونمى بهما علاقة المجاورة والمشابهة^(٥) . فطارة يعتمد انتقال الدلالة على علاقة المجاورة المكانية ، كتحول معنى طينة (معناها في الأصل المرأة في المودج) إلى معنى المودج ومعنى البعير^(٦) ؛ وتحول معنى ذقت في عامية المصريين إلى معنى اللحية^(٧) ، وتحول معنى bureau من فطاء المكتب إلى المكتب نفسه ، وكتآنيث الرأس في عامية بعض المناطق المصرية (انتقل إليه للتآنيث من الأعضاء المجاورة له وهي العين والأذن) ... وهم جرا . وتارة يعتمد على علاقة المجاورة الزمنية ، كتحول معنى الوخي إلى معنى الحرب ، بعد أن كان معناها اختلاط الأصوات في الحرب (فلا يخفى أن العلاقة بين هذه الأصوات والحرب هي علاقة المجاورة الزمنية) ؛ وكتحول معنى الحقيقة (هي في الأصل للشمر الذي يخرج على الولد من بطن أمه) إلى معنى الدبيحة التي تنحر عند حلق ذلك الشمر^(٨) . وكذلك كلمة été (فصل الصيف) التي كانت مؤنثة في الأصل لمجاورة مدلولها مجاورة زمنية لمدلول كلمة مذكرة وهي Printemps فصل -

(١) من الفرر في علم النفس أن حضور معنى ما يدعو إلى التماكرة بين المعاني المرتبطة منه بعلاقة المجاورة أو المشابهة
(٢) هنا هو تمثيل ما يقصده علماء اللغة ، إذ يقررون أن تطور الدلالات خاضع لقانون التماثل Loi de l'analogie
(٣) الزهر للسيوطي الجزء الأول ص ٢٠٧
(٤) القطن في الأصل هو جمع معنى الحنك . ولا يخفى أن هذا الموضع مجاور لشمر الثابت في الوجه
(٥) للزهر للسيوطي الجزء الأول ص ٢٠٧

(١) من الفرر في علم النفس أن حضور معنى ما يدعو إلى التماكرة بين المعاني المرتبطة منه بعلاقة المجاورة أو المشابهة
(٢) هنا هو تمثيل ما يقصده علماء اللغة ، إذ يقررون أن تطور الدلالات خاضع لقانون التماثل Loi de l'analogie
(٣) الزهر للسيوطي الجزء الأول ص ٢٠٧
(٤) القطن في الأصل هو جمع معنى الحنك . ولا يخفى أن هذا الموضع مجاور لشمر الثابت في الوجه
(٥) للزهر للسيوطي الجزء الأول ص ٢٠٧

ثبت أن للتطور الذي نحن بصدده تطور تلقائي آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية فلا يتصور أن يتقيد في اتجاهه بالسبل التي تقول بها هذه النظرية . وإن موازنة بين الحالة التي كانت عليها اللغة للمربية فيما يتعلق بدلالة ألفاظها وقواعدها في الإعراب وغيره وما آلت إليه في اللغات اللامية الحاضرة لا أكبر دليل على ما تقول ؛ فن الواضح أن هذا للتطور لم يتجه دائماً نحو التهذيب والكمال ، بل أدى في معظم مظاهره إلى اللبس في دلالة للكلمات والخلط بين وظائفها وأنواعها وجردها للغة مما بها من دقة وسمو ، وهوى بها إلى منزلة وضيفة في التعبير . وما حدث في اللغة للمربية بهذا للصدد حدث مثله في كثير من اللغات . وإليك مثلاً قواعد اللغة اللاتينية التي انقرضت في اللغات المنشعبة عنها ، فإن معظم هذه القواعد كان كبير الفائدة في بيان وظيفة الكلمات وتحديد مدلولاتها وتعيين الدلالات التي تربط عناصر العبارة بعضها ببعض ، وقد أدى انقراض هذه القواعد في اللغات المنشعبة عن اللاتينية إلى كثير من اللبس والاضطراب

حقاً إن هذه المذاهب تصدق على بعض مظاهر للتطور الدلالي الخاص بلغات الكتابة ، فتطور لغات الكتابة يتمدد في كثير من نواحيه على عوامل أدبية مقصودة ترى إلى تنقيح اللغة وتهذيبها والسير بها في سبيل الكمال .

على عبد الواحد رافي

ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة الدوربون

الربيع (١) . وتارة يستمد على علاقة المشابهة ، كتحول معنى الأذن (وهو في الأصل قلة لبن الناقة) إلى معنى قلة العقل والسفه ، وتحول معنى المجد (وهو في الأصل امتلاء بطن الدابة من الملف) إلى معنى الامتلاء بالكرم ... وهلم جرا (٢)

٥ - إن للتطور الدلالي في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان . فمعظم ظواهره تقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص . ولا نكاد نثر على تطور دلالي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة ووقت واحد

٦ - أنه إذا حدث في بيئة ما ظهر أثره عند جميع الأفراد الذين شملتهم هذه البيئة . فسقوط علامات الإعراب في لغة المحادثة المصرية لم يفت من أثره أي فرد من المصريين

ومن هذه الخواص يتبين فساد كثير من النظريات القديمة بصدد هذا للتطور

فليس بصحيح ما ذهب إليه بعض العلماء من أن هذا للتطور نتيجة لأعمال فردية اختيارية يقوم بها بعض الأفراد وتنتشر عن طريق المحاكاة (٣)

وليس بصحيح كذلك ما ذهب إليه أعضاء المدرسة الإنجليزية وبعض الباحثين من الفرنسيين كالللامه بريال Bréal إذ يرون أن التطور الدلالي يسير باللغة نحو التهذيب والكمال ويسد ما بها من قعر ويخلصها مما لا تدعو إليه الحاجة . وذلك أن اتجاهات كهذه لا يمكن أن تتحقق إلا في تطور اختياري مقصود تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح . أما وقد

(١) كانت الفصول في الفرنسية القديمة من حيث التذكير والتأنيث على النحو الآتي : الربيع (مذكر) ، الصيف (مؤنث) ، الخريف (مذكر) ، الشتاء (مذكر) . ثم انتقل تأنيث الصيف إلى الخريف ، وانتقل فيما بعد تأنيث الخريف إلى الشتاء ، فأصبحت الفصول جميعها مؤنثة ما عدا الربيع ، ولكن تذكير الربيع لم يلبث أن انتقل فيما بعد إلى الصيف وتذكير الصيف رد إلى الخريف والشتاء توغها للذكر لتقديم فأصبحت جميع الفصول مذكرة في اللغة الفرنسية الحالية

(٢) قد يستمد انتقال الهمالة من حالة إلى حالة على علاقة تضاد بين الحائنين (إطلاق الكلمة مثلاً على ضد مدلولها القديم) ، والتضاد في الواقع مظهر من مظاهر التشابه ، إذ لا يوجد تضاد شبيهي يشتركان في صفة عامة كالطويل والتقصير ، والأسود والأبيض ، وهلم جرا . أما الأسمان اللذان لا يشتركان في صفة ما فلا يوجد بينهما تضاد كالأحمر والطويل مثلاً

(٣) قال بهذا الرأي الفاسد جماعة من العلماء على رأسها Sayce

Sweet, Jespersen, Iard

لأنكم لم بعد الآن!

أهدت الأكتشافات العلمية في صحة الفهم!
البيوت في عجيبة للألسنان:

يؤد كالكلي كولو!

أطلب النشرة العلمية الخاصة من:
جلاهور ميان صندوق بوسنة ٢١٠٥

(س.ت.٥٢٢٧)